لَمَحَاتٌ عِلْمِيَّةٌ وَقُطُوفٌ تَفْسِيرِيَّةٌ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالميــة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

لَمَحَاتٌ عِلْمِيَّـــةٌ وَقُطُوفٌ تَفْسِيرِيَّةٌ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالميـــة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

المُقَدِّمَة

لا خلاف في المنهج بين مفسري اليوم للآيات الكونية ومفسري الأمس؛ سوى تَجَلِّي بعض خفايا الخليقة بعد اكتشاف المنظار والمجهر وتطور وسائل الرصد، لتسطع البينة على أن هذا القرآن هو الحق، ولو كان مُفَسِّرِي الأمس مُعَاصِرِين لَسَارَعُوا إلى تفسير الآيات الكونية بالحقائق العلمية، فقد فاضت كتبهم ومن سار على دربهم بوجوه من الإعجاز في القرآن الكريم.

قَالَ الْفَخر الرازي: ""كَانَ عمر بن الحسام يقْرَأ كتاب المجسطي على عمر الْأَبْهَرِيّ فَقَالَ لَهما بعض الْفُقَهَاء يَوْمًا: مَا الَّذِي تقرأونه؟ فَقَالَ الْأَبْهَرِيّ أفسر قَوْله تَعَالَى {أفلم ينْظرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقهم كَيفَ بنيناها} فَأَنا أفسر كَيْفيَّة بنائها، وَلَقَد صدق الْأَبْهَرِيّ فِيمَا قَالَ؛ فَإِن كل من كَانَ أَكثر توغلا فِي بحار الْمَخْلُوقَات كَانَ أَكثر علمًا بِجلَال الله تَعَالَى وعظمته""[1]، والمجسطي هذا كتاب قديم في الفلك والرياضيات ألفه بطليموس حوالي عام ١٤٨م في الاسكندرية، وترجمه إلى العربية حنين بن إسحاق العبادي في عهد المأمون حوالي عام ٨٢٧م[2]، فما بالك بالمجلدات اليوم المزدانة بمفاخر الكشوف ومآثر العلوم!.

وتأتي الملامح العلمية بعفوية وتلطف لا يلفت عن غرض الإيمان، ولا مجال لاستنباط وجه علمي بمعزل عن تفهم بديع أساليب البيان، والخشية من تغير الحقائق العلمية مع الزمن حرص محمود؛ لكن الحقائق ثوابت لا تتغير مع الزمن كظلمة البحر العميق، والقول بأن الاجتهاد قد يصيب وقد يخيب صحيح؛ ولكن حرص المتضلعين بعلوم اللغة والشريعة والطبيعة كفيل بالتصويب.

والتفسير بالعلوم يُوَضِّح ما انتظرته الأيام ليتجلى ويسطع ويتحقق وعد جازم: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص:٨٧و٨٨، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٤١فصلت:٥٣، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٢٧النمل:٩٣، ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ. لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٦الأنعام:٦٦و٦٧، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ١٠يونس:٣٩، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ٣٨ص:٨٧و٨٨.

د. محمد دودح

[1] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٤\ ١٥٤).

[2] موسوعة ويكيبيديا والشبكة الدولية.

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا
وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾
٢١الأنبياء:٣٢.

Paragraph الفَقْرَة

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ. وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ. وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ. وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٠-٣٣.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿وَجَعَلْنَا﴾، ﴿السَّمَاءَ﴾، ﴿سَقْفًا﴾، ﴿مَحْفُوظًا﴾، ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

And We have made the (near) **sky** (the atmosphere) **a protected roof-like** (a ceiling to guard them)**.**
Yet, they are totally oblivious to all the portended signs therein (of the mercy and power of Allah)**.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

لفظ (السماء) من الألفاظ التي تتحدد معانيها تبعا لقرائن السياق، وفي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ. وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ. وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٠-٣٢؛ سبق الحديث عن انفصال الأرض عن السماوات خلال نشأة الكون؛ أي: (السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)، وأعقبه الحديث عن (الْأَرْضِ)، فما بقي في سياق نشأة عالمنا سوى الغلاف الجوي Atmosphere الذي نشأ من الأرض ويلحق بها في النظم؛ فناسبه التمييز عن سماوات الكون بلفظ (السَّمَاءَ)، والتعبير (جَعَلْنَا) يعني تحويله من حالة أولية إلى الحالة الحالية المُستقرة بطبقاته المُميزة، والتمثيل للغلاف الجوي بالتعبير: (سَقْفًا مَحْفُوظًا)؛ قرينة يؤيد الترتيب في النظم على الدلالة على الغلاف الجوى؛ لأن سقف البيت يحفظ ما دونه مما هو فوقه، ووصف الجو بلفظ (مَحْفُوظًا) يتفق مع المعرفة العلمية حديثًا بأنه كان يتبدد عند نشأته، وفي مقام المن يجعله السياق حماية ودفاع من أخطار كونية، ولا يدري الصحيح البدن عادة بقيمة صحته حتى يذوق المرض، وبالمثل لا يستشعر الإنسان بقيمة ما منحه الله تعالى من نعم حتى تُصيبه الكوارث، والغلاف الجوي من أعظم نعم الله تعالى التي ميزت الأرض وجعلتها مؤهلة لنشأة الحياة قبل مجيء الإنسان، قال المقدم: "(السماء) تُطلق لغةً على السقف وغيره، والسحاب يُطلق عليه سماء، قال عز وجل: {وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} المؤمنون:١٨، السماء هنا المقصود بها: السحاب؛ لأنه يعلونا، أيضاً الغلاف الجوي سماء: {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا} الأنبياء:٣٢، فالغلاف الجوي سقف محفوظ يحفظ الأرض والكائنات الحية من الإشعاعات الضارة التي قد تُبيد الحياة"[٣]، والغلاف الجوي يتكون من نطق أو طبقات مُتميزة.

[٣] محمد أحمد إسماعيل المقدم؛ تفسير القرآن الكريم، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، رقم الجزء هو رقم الدرس، ترقيم الشاملة (١٥٠\ ١٥).

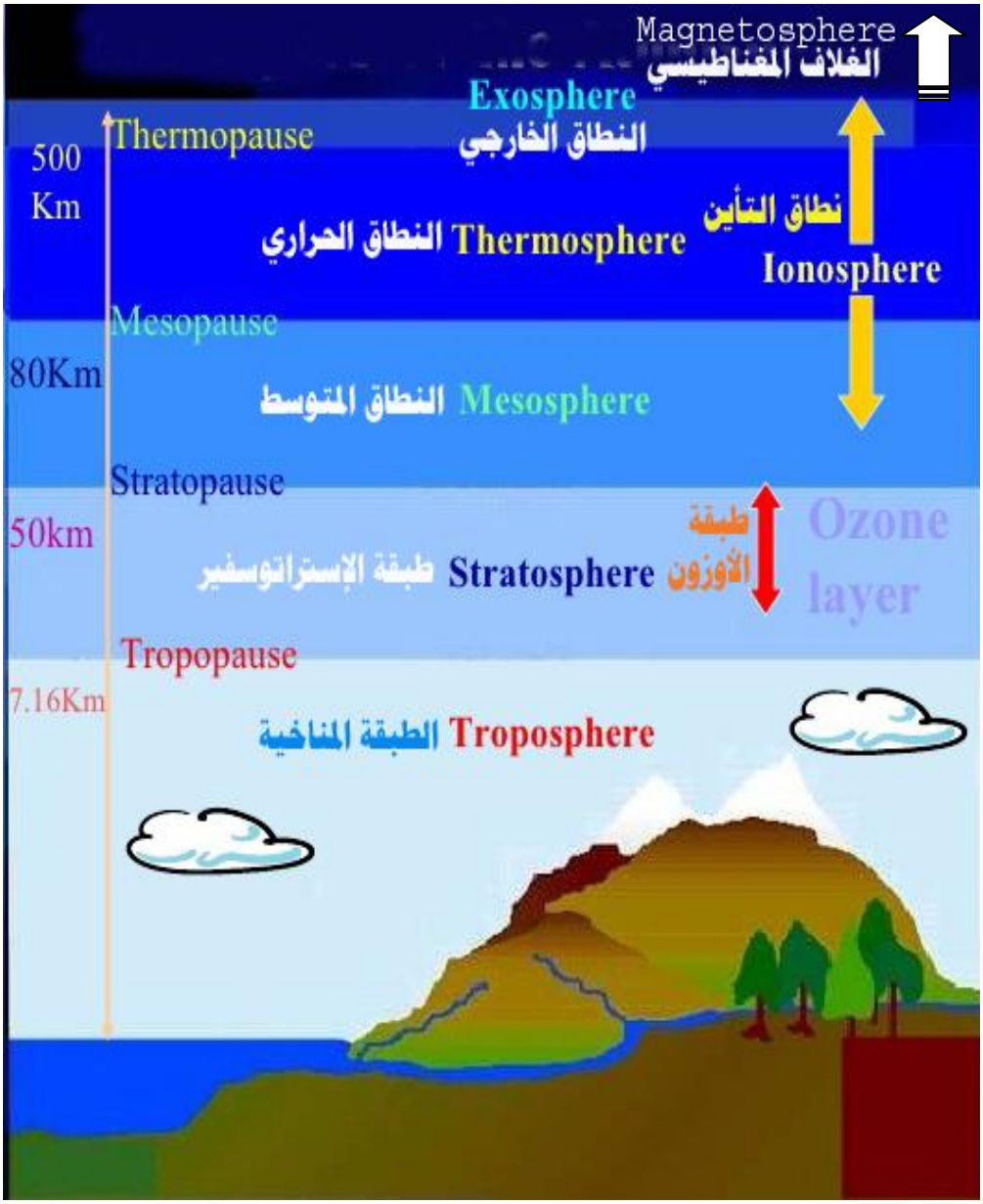

١- **نطاق التغيرات الجوية أو الطبقة المناخية Troposphere: يتراوح سمكه من ٦ إلى ١٨ كم (٥ ميل عند القطبين و١١ ميل عند خط الاستواء) ويبلغ متوسط ارتفاعه ١١ كم فوق مستوى سطح البحر، وتنخفض درجة حرارته بمعدل حوالي ٦ درجات مئوية لكل ارتفاع ألف متر، وتصل درجة الحرارة إلى ستين درجة مئوية تحت الصفر في قمة النطاق، ويقل ضغط الهواء كلما ارتفعنا لأعلى، ويحوي ٨٥ % من كتلة الغلاف الجوي، ويتركب من النتروجين (٧٨ %) والأكسجين (٢١ %) والأرجون (٠,٩٣%) وثاني أكسيد الكربون (٠,٠٣ %) وبخار الماء وغيره من الغازات بنسب ضئيلة، وتنشأ فيه جميع الظروف الجوية المختلفة من رياح وسحاب ومطر ورعد وبرق.**

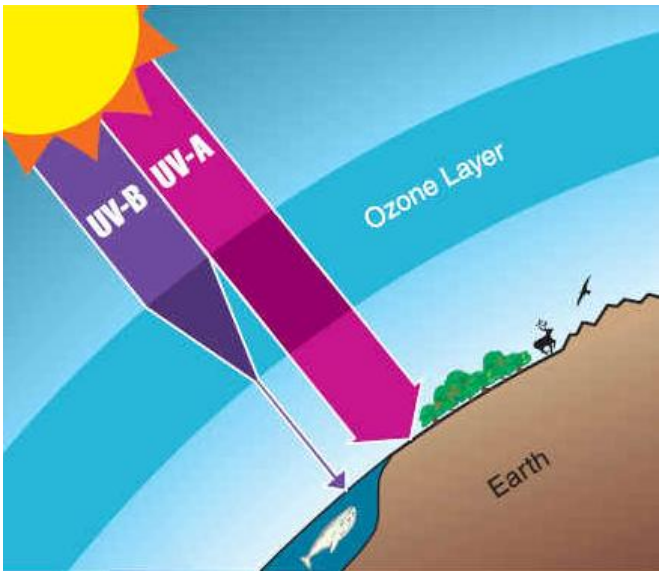

٢-طبقة الإستراتوسفير Stratosphere: يرتفع فوق طبقة التغيرات الجوية إلي ارتفاع٥٠ كم فوق مستوى سطح البحر، ويحوي ما بين ارتفاع ٢٠ و ٣٠ كم فوق مستوى سطح البحر طبقة الأوزون، ولولا طبقة الأوزون لأصبحت الحياة مستحيلة على الأرض، وتخترق الشهب والنيازك هذا النطاق، وترتفع درجة الحرارة لأعلى نتيجة امتصاص طبقة الأوزون للأشعة فوق البنفسجية، وينخفض الضغط الجوي حتى يصل إلى ٠,٠١ ضغط جوي عند قمة النطاق.

٣-النطاق المتوسط Mesosphere: يعلو إلى حوالي ٨٥ كم فوق مستوى سطح البحر (٥٠-٨٥ كم)، وتخترقه الشهب والنيازك، وهو أقل طبقات الجو في درجة الحرارة، وتنخفض درجة الحرارة كلما اتجهنا نحو الأعلى حتى تصل إلى حوالى٩٠ درجة مئوية تحت الصفر، وينخفض الضغط الجوي إلى أن يصل إلى ٤ من مليون من الضغط الجوي.

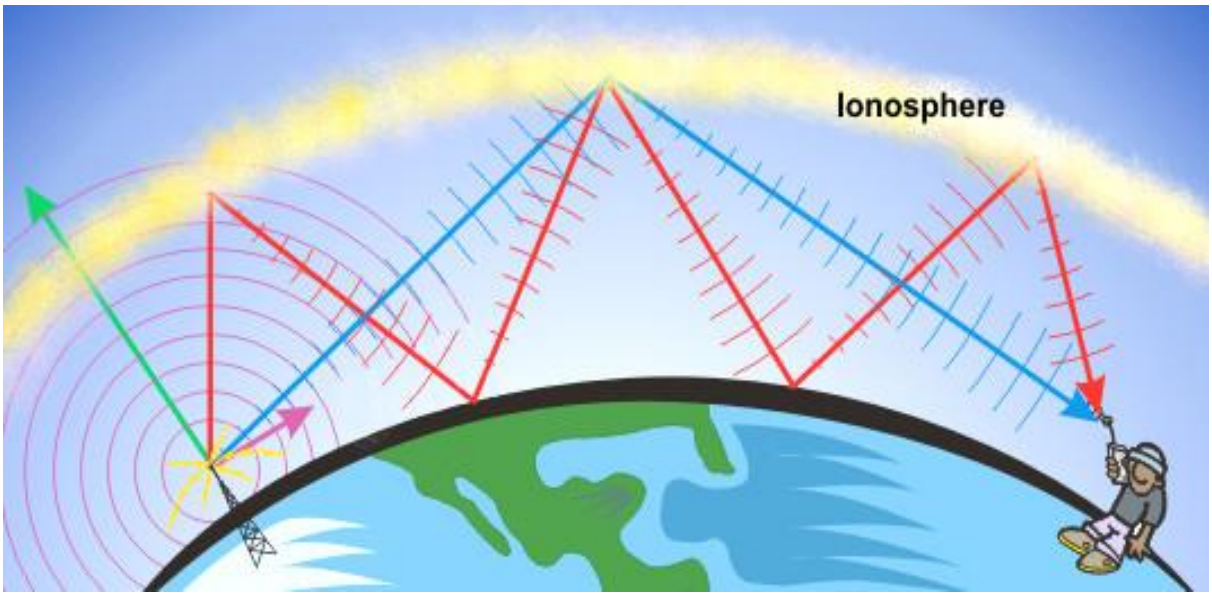

٤-النطاق الحراري Thermosphere: يرتفع فوق النطاق المتوسط بحوالي ٦٠٠ كم (من ٨٥-٧٠٠ كم) فوق مستوى سطح البحر، وترتفع درجة الحرارة إلى ٥٠٠ درجة مئوية عند ارتفاع ١٢٠كم، ويوجد به نطاق التأين Ionosphere عند ارتفاع ٤٠٠ كم فوق مستوى سطح البحر، ويحمي الأرض من الأشعة الكونية والرياح الشمسية، ويعكس موجات الراديو ولذا يلعب دورا هاما في الاتصالات اللاسلكية.

٥-النطاق الخارجي Exosphere: أعلى طبقة في الجو ويمتد من٧٠٠ إلى ٣٥٠٠٠ كم فوق مستوى سطح البحر، ويتكون الهواء غالبا من الغازات الخفيفة مثل الأيدروجين والهيليوم، والكثافة في غاية الضآلة،

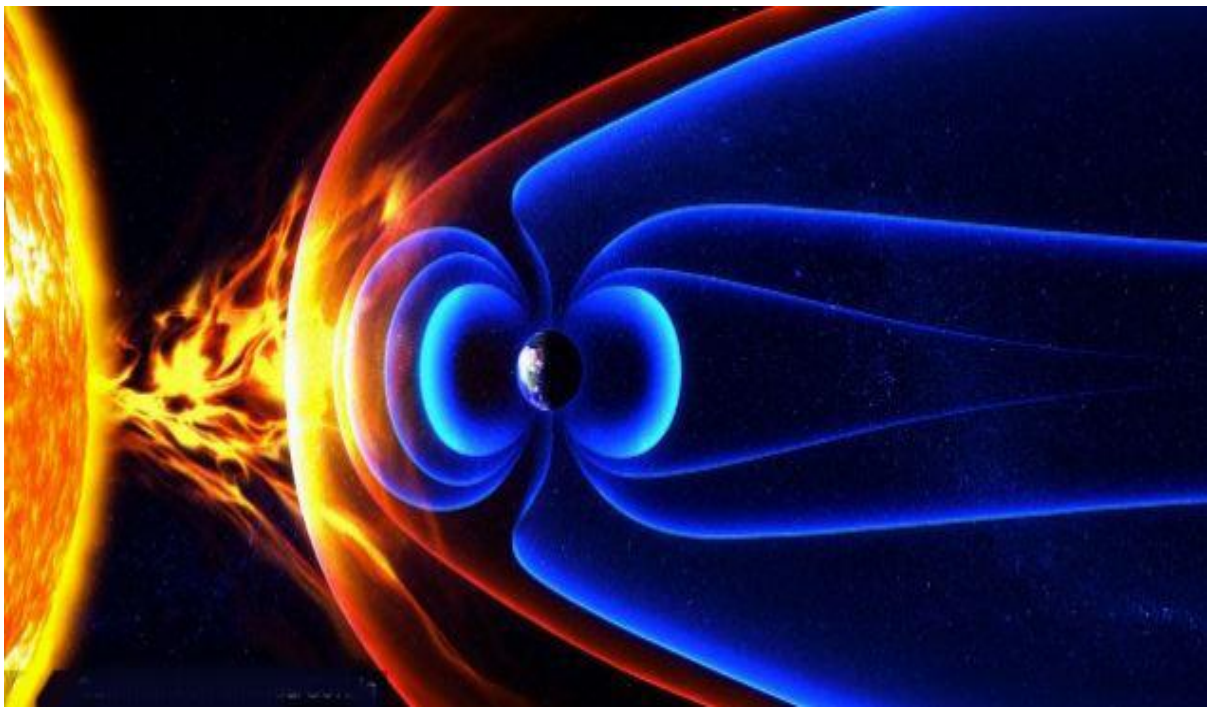

٦-نطاق الماجنيتوسفير Magnetosphere: يمتد لمسافة ٥٠٠٠٠ كم، ويوجد به زوج من الأحزمة المغناطيسية؛ يزداد سمكها عند خط الاستواء ويقل عند القطبين، ويقع الحزام الإشعاعي الداخلي على ارتفاع ٢٠٠٠ كم فوق مستوى سطح البحر، وهو يمثل مصيدة للجسيمات الذرية عالية الطاقة القادمة من الفضاء.

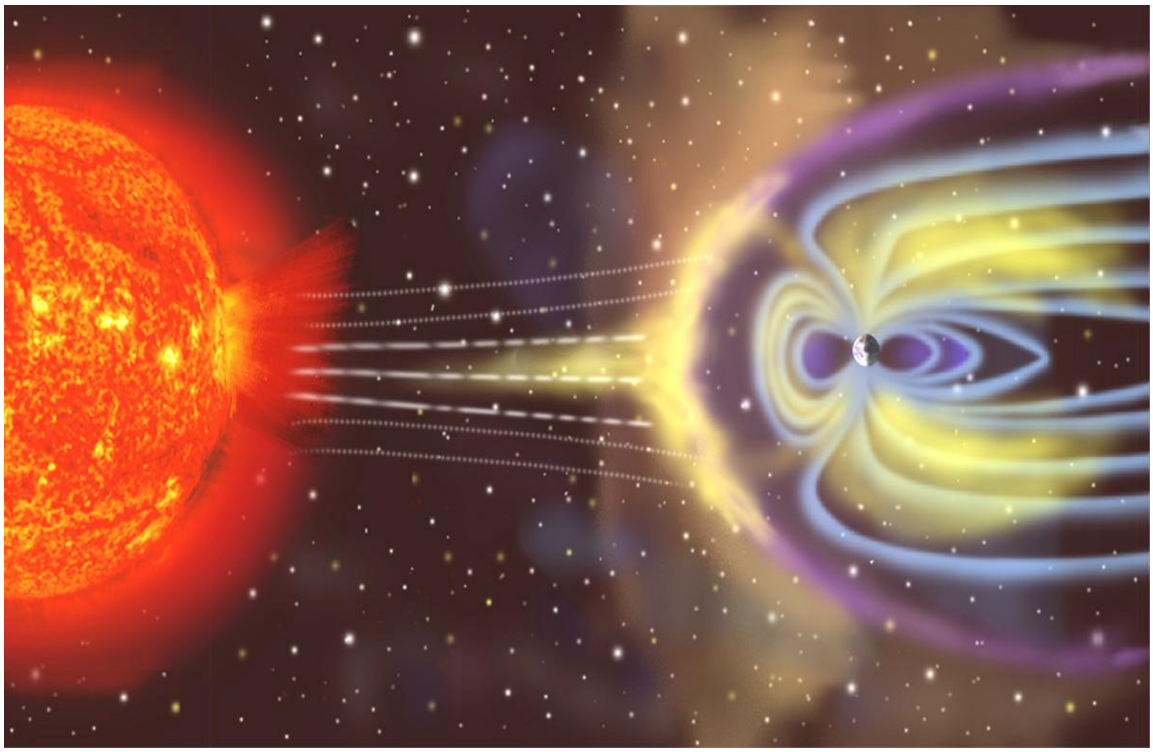

وقد اكتشفت مركبة فضائية عام ١٩٥٨ غلاف الأرض المغناطيسي، وفي عام ١٩٥٩ اقترح توماس جولد Thomas Gold (١٩٢٠-٢٠٠٤) اسم الغلاف المغناطيسي، وهو ليس بيضاويا وإنما يتكون من جبهة وذيل، ويَتكون الذيل المغناطيسي عن طريق الضغط الذي تولّده الرياح الشمسية على الغلاف المغناطيسي، ويَمتد الذيل المغناطيسي لمسافات هائلة عن الأرض، فذيل الأرض المغناطيسي يَمتد لحوالي: ٢٠٠ ضعف نصف قطرها على الأقل بعكس اتجاه الشمس، ويتجاوز مدار القمر بمسافة تصل إلى حوالي: ٦٠ نصف قطر أرضي، وهو يأسر الأيونات المشحونة والقادمة من الشمس، وفي الغلاف المغناطيسي الداخلي تتكون ظاهرة الشفق القطبي، ويُمكن للبلازما المشحونة والتيارات الكهربائية الناتجة عن هذه العملية؛ أن تهدد عمل الاتصالات اللاسلكية والملاحة الفضائية.

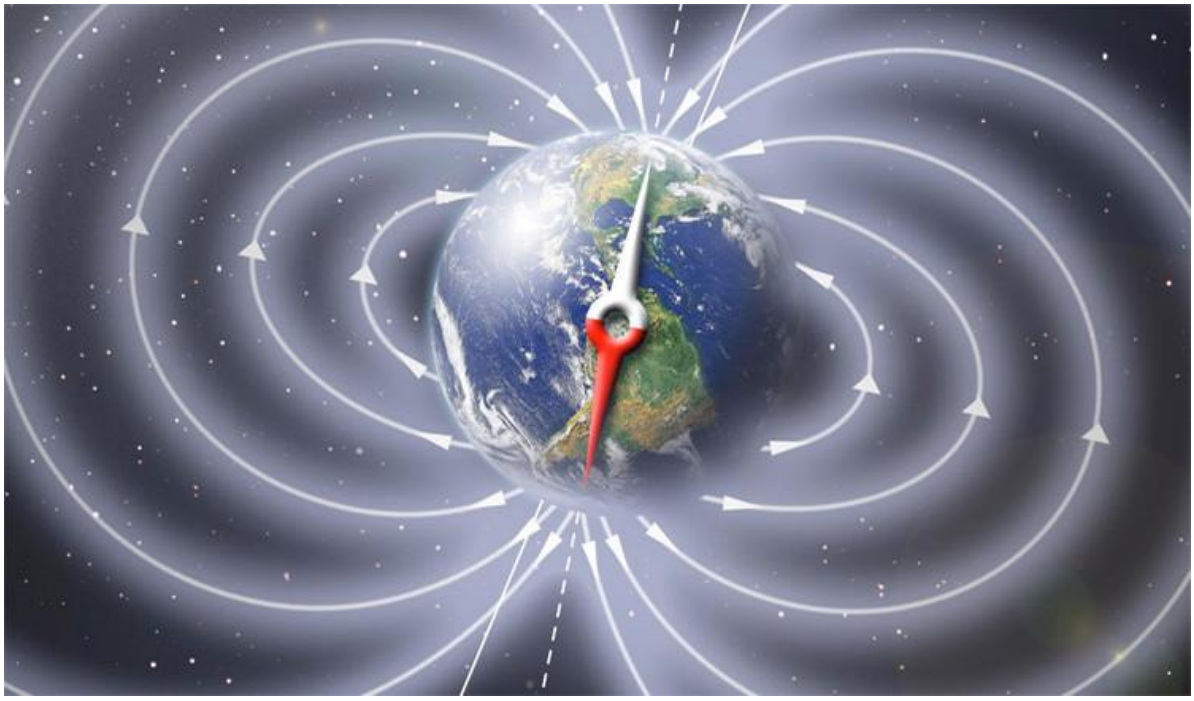

والغلاف المغناطيسي يدفع عن الأرض خطر الرياح الشمسية الفتاكة بالتفاعل مع الأيونات المشحونة التي تُصدرها الشمس، ويتكون من صفوف بهيئة مُعقبات مغناطيسية تُحيط بالأرض؛ كأنها صفوف جنود تتعاقب ليل نهار لتشكل جيشًا يحفظون ليل نهار كل إنسان من الموت؛ بدفع خطر داهم من أمام وخلف كل أهل الأرض، ويستدعي هذا الوصف وصفًا مُماثلا في قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ. لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ ١٣الرعد:١٠و١١، في تفسير الجلالين: "أي بأمره..، {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ} لَا يَسْلُبُهُمْ نِعْمَته {حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}"[٤]، وليس تفسير المُعقبات مقصورًا بالملائكة؛ خاصة أنها من الغيب الذي يجب التوقف عن إقحامه إلا بنص صريح، ولا قرينة في النص على ذكر الملائكة؛ ولذا أجازوا تفسيره بوجوه أخرى، قال الماوردي: "قوله عز وجل: {له معقبات مِن بين يديه ومن خَلْفِه} فيها ثلاثة أقاويل؛ أحدها: أنهم حراس الأمراء يتعاقبون الحرس؛ قاله ابن عباس وعكرمة، الثاني: أنه ما يتعاقب من أوامر الله وقضائه في عباده؛ قاله عبد الرحمن بن زيد، الثالث: أنهم الملائكة..؛ قاله مجاهد وقتادة..، وإن قيل.. إن المعقبات ما يتعاقب من أمر الله وقضائه؛ ففي تأويل قوله تعالى {يحفظونه من أمر الله}..: يحفظونه من الموت ما لم يأت أجله؛ قاله الضحاك"[٥].

[٤] جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي؛ تفسير الجلالين، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى (ص٣٢٣).

[٥] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٣ ٩٨١).

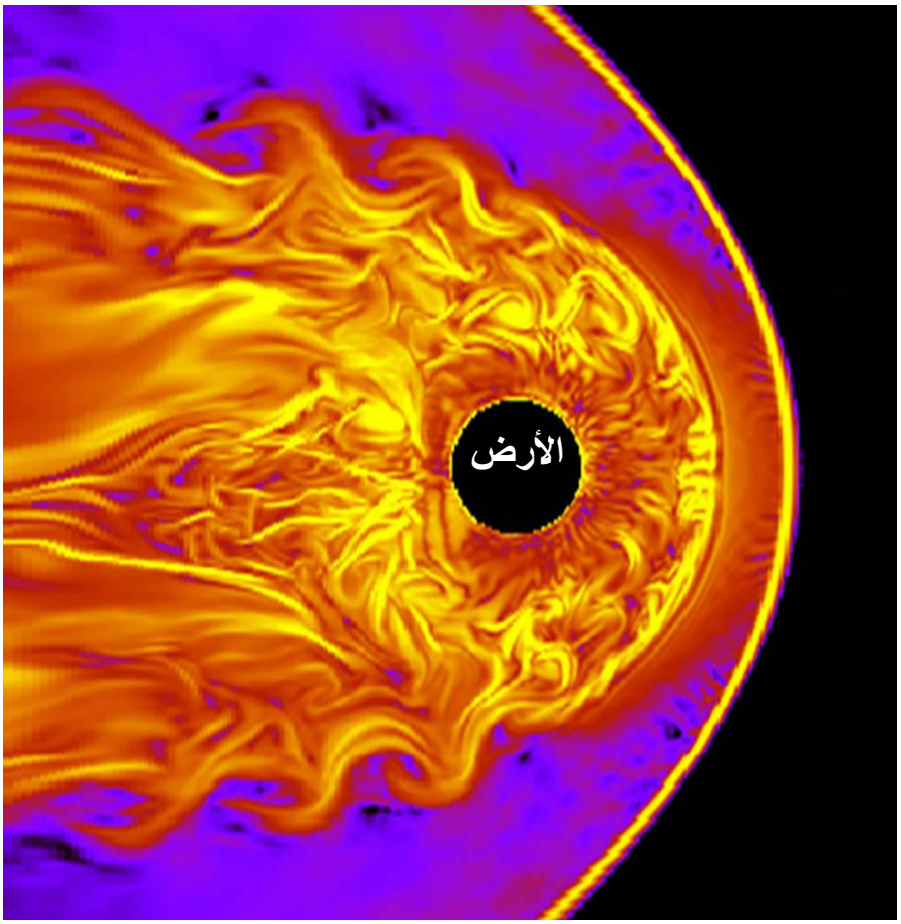

طبقة الغلاف المغناطيسي تشكل درعاً واقيا للأرض وتحمي كل كائن حي من الرياح الشمسية القاتلة.

يعج الفضاء بالكثير من الأحجار النيزكية ويتخلص الغلاف الجوي للأرض من معظمها.

لو قُدِّر لنيزك بحجم ملعب كرة أن يضرب الأرض
فالمتوقع أن يسبب دمارا واسعا بسبب الموجة
الصدمية والارتطام وموجة التسونامي في البحار.

قال أحمد حطيبة: "قال تعالى: {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ} الأنبياء:٣٢؛ الغلاف الجوي للأرض وهو ما حول الأرض؛ جعله الله سبحانه وتعالى حافظاً لما تحته، فقد حفظ جو الأرض (الناس) من مصائب كثيرة جداً؛ منها الإشعاعات..، ومنها الحجارة الكثيرة التي تنتج من اصطدام المذنبات بالشمس أو بغيرها من الكواكب، حيث يتجه بعضها نحو الأرض فيدخل الغلاف الجوي للأرض، فيقوم (الجو) بإذابتها وحفظ سطح الأرض، وهذه الحجارة كثيرة جدًا.. فالله سبحانه وتعالى من فضله وكرمه جعل احتراقها بسبب سرعتها، فهي تجري بسرعة عظيمة.. وبعضها يشاء الله عز وجل أن تدخل إلى الغلاف الجوي، فإذا دخلت فإن الهواء يقوم بتقليل سرعتها، وربما بعد ذلك يقوم بإحراقها، أو يصل بعضها إلى الأرض ويعمل حفراً كبيرة..، فالله عز وجل يجعل هذه تخترق الغلاف الجوي؛ ليرينا آية من آياته، وهي أنه لو شاء لجعل هذه الملايين من الحجارة كلها تخترق الغلاف الجوي وتنزل على الأرض، ولجعل الإشعاعات الضارة التي تخرج من الشمس تخترق الغلاف الجوي كذلك وتدخل علينا فتؤذينا، ولكن الله سبحانه جعل حولنا سقفاً محفوظاً يحفظ هذه الأرض وهو الغلاف الجوي حولها"[٦].

[٦] الشيخ الطبيب أحمد حطيبة؛ دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ترقيم المكتبة الشاملة، ورقم الجزء هو رقم الدرس (١٤ ١٣).

فدلالة التعبير التصويري (سَقْفًا مَحْفُوظًا) تتفق مع الغلاف الجوى، لأنه بالفعل يُماثل سقفًا فوقنا يمنع أخطارًا غير منظورة أن تصل إلينا إلا أن يشاء الله تعالى، وهو أيضا اليوم محفوظ من التبدد بخلاف ما عانى في بداية التكوين، كما هو الحال في القمر حيث تبدد كله؛ فأصبح القمر بلا سقف يحميه، ويلفت الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم انتباهنا إلى بعض خصائص الجو في قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ) الأنبياء:٣٢، ويتضمن دفع المخاطر وامتناع التبدد، وهذه الخصائص قد أثبتتها الأبحاث العلمية التي أجريت في القرن العشرين، فالغلاف الجوي الذي يُحيط بالأرض يؤدي وظائف ضرورية لاستمرارية الحياة على الأرض، ويُدمر الكثير من النيازك؛ ويمنع معظمها من السقوط على سطح الأرض وإيذاء الكائنات الحية، والمُلفت للنظر أن الغلاف الجوي لا يسمح بالمرور إلا للإشعاعات غير الضارة مثل أشعة الضوء، ويكفي أنه يحمي أهل الأرض من برد الفضاء الذي يصل إلى ٢٧٠ درجة مئوية تحت الصفر، والأحزمة المغناطيسية بمثابة درع يقي من خطر الرياح الشمسية التي تهدد الأحياء على الكوكب، ولولا أن الله تعالى قد هيأ الغلاف الجوي لسقطت ملايين النيازك على الأرض وقضت على الحياة، ومن الجائز أن حادثة الديناصورات التي بادت منذ حوالي ٦٥ مليون سنة قد ترجع إلى الدخان الذي لف الأرض عقب سقوط نيزكي كبير حجب ضوء الشمس وقضى على معظم الأحياء على البسيطة وفي البحار، وباختصار فإن هناك نظاماً مُتكاملاً يعمل فوق الأرض ولا نشاهده؛ يحمينا من التهديدات الخارجية في صمت، ولم يكن بشر يعلم بوجوده إلا مؤخرًا، ولكن الله سبحاه وتعالى قد أخبرنا به منذ قرون عديدة ليكون عبرة للواعين وموعظة تنبه الغافلين أن القرآن وحي من عند رب العالمين.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال المقدم: "(السماء) تُطلق لغةً على السقف وغيره، والسحاب يُطلق عليه سماء، قال عز وجل: {وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} المؤمنون:١٨، السماء هنا المقصود بها: السحاب؛ لأنه يعلونا، أيضاً الغلاف الجوي سماء: {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا} الأنبياء:٣٢، فالغلاف الجوي سقف محفوظ يحفظ الأرض والكائنات الحية من الإشعاعات الضارة التي قد تُبيد الحياة"[٧].

وقال أحمد حطيبة: "قال تعالى: {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ} الأنبياء:٣٢؛ الغلاف الجوي للأرض وهو ما حول الأرض؛ جعله الله سبحانه وتعالى حافظاً لما تحته، فقد حفظ جو الأرض (الناس) من مصائب كثيرة جداً؛ منها الإشعاعات..، ومنها الحجارة الكثيرة التي تنتج من اصطدام المذنبات بالشمس أو بغيرها من الكواكب، حيث يتجه بعضها نحو الأرض فيدخل الغلاف الجوي للأرض، فيقوم (الجو) بإذابتها وحفظ سطح الأرض، وهذه الحجارة كثيرة جداً.. فالله سبحانه وتعالى من فضله وكرمه جعل احتراقها بسبب سرعتها، فهي تجري بسرعة عظيمة.. وبعضها يشاء الله عز وجل أن تدخل إلى الغلاف الجوي، فإذا دخلت فإن الهواء يقوم بتقليل سرعتها، وربما بعد ذلك يقوم بإحراقها، أو يصل بعضها إلى الأرض ويعمل حفراً كبيرة..، فالله عز وجل يجعل هذه تخترق الغلاف الجوي؛ ليرينا آية من آياته، وهي أنه لو شاء لجعل هذه الملايين من الحجارة كلها تخترق الغلاف الجوي وتنزل على الأرض، ولجعل الإشعاعات الضارة التي تخرج من الشمس تخترق الغلاف الجوي كذلك وتدخل علينا فتؤذينا، ولكن الله سبحانه جعل حولنا سقفاً محفوظاً يحفظ هذه الأرض وهو الغلاف الجوي حولها"[٨].

وفي تفسير مجمع البحوث: "{وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ}: هذه آية.. من آيات الألوهية الدالة على وجود الصانع وكمال قدرته، أي: وجعلنا السماء المُظلة للأرض كأنها قبة عليها، جعلناها سقفا محفوظًا بقدرتنا..، فقد أمسكها الله تعالى بقوانين تقتضي حفظها مرفوعة في الفضاء بقدرته..، وقيل: سقفًا محفوظًا من الفساد والانحلال إلى الوقت المعلوم الذي تطوى فيه السماءُ كَطَيِّ السجلِّ للكتب، وقد روى ذلك عن قتادة، {وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ}: أي وهم عن آيات السماء الدالة على الوحدانية وكمال القدرة ذاهلون..؛ ولو تأملوها أدنى تأمل لهداهم التأمل إلى الإيمان واليقين"[٩].

وقال القاسمي: "(وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا) أي على الأرض كالقبة عليها، (مَحْفُوظاً) أي.. محفوظًا من التغير بالمؤثرات"[١٠].

وقال المراغي: "(وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً) أي إنه تعالى.. جعلها كالسقف المحفوظ من الاختلال.. بقوة الجاذبية"[١١].

وقال الرازي: "قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آياتِها مُعْرِضُونَ).. سَمَّى السَّمَاءَ سَقْفًا لِأَنَّهَا لِلْأَرْضِ كَالسَّقْفِ لِلْبَيْتِ..، قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَهُمْ عَنْ آياتِها مُعْرِضُونَ) مَعْنَاهُ عَمَّا وَضَعَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا مِنَ الْأَدِلَّةِ وَالْعِبَرِ.. وَالتَّرْتِيبِ الْعَجِيبِ الدَّالِّ عَلَى الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ وَالْقُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ.. (و) عَلَى التَّوْحِيدِ..، أَيْ هُمْ (غير) مُتَفَطِّنُونَ لِمَا يَرِدُ عَلَيْهِمْ.. مِنَ الْمَنَافِعِ الدُّنْيَوِيَّةِ.. وَحَيَاةِ الْأَرْضِ بِأَمْطَارِهَا وَهُمْ عَنْ كَوْنِهَا آيَةً بَيِّنَةً عَلَى وُجُودِ الْخَالِقِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ مُعْرِضُونَ"[١٢].

وقال القطان: "{وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَّحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ}؛ وجعلنا السماءَ فوقهم كالسقف المرفوع..، وهم مع ذلك منصرفون عن النظر في آياتنا الدالَّة على قدرتنا وحكمتنا..، (فهي) محفوظةٌ بكيانها متماسكةٌ لا خلل فيها، وفق نظام بديع لا يتخلف ولا يتبدل، وقد جعل الله لهذه الأرض غلافاً جوياً يحفظها ويمنع الإشعاعات الضارة من أن تصل إليها"[١٣].

وقال ابن عاشور: "(وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آياتِها مُعْرِضُونَ).. السَّقْفُ حَقِيقَتُهُ: غِطَاءُ فَضَاءِ الْبَيْتِ الْمَوْضُوعُ عَلَى جُدْرَانِهِ؛ وَلَا يُقَالُ السَّقْفُ عَلَى غِطَاءِ الْخِبَاءِ وَالْخَيْمَةِ. وَأُطْلِقَ السَّقْفُ عَلَى السَّمَاءِ عَلَى طَرِيقَةِ

---

[٧] محمد أحمد إسماعيل المقدم؛ تفسير القرآن الكريم، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، رقم الجزء هو رقم الدرس، ترقيم الشاملة (١٥٠\١٥).

[٨] الشيخ الطبيب أحمد حطيبة؛ دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ترقيم المكتبة الشاملة، ورقم الجزء هو رقم الدرس (١٤\١٣).

[٩] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م (١٦\١١١٠).

[١٠] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (١٧\١٩٢).

[١١] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١١٧\٢٧).

[١٢] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (٢٢\١٣٩).

[١٣] إبراهيم القطان؛ تيسير التفسير، المكتبة الشاملة (١٢\٤٣٢).

التَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ، أَيْ جَعَلْنَاهَا كَالسَّقْفِ..، وَجُمْلَةُ (وَهُمْ عَنْ آياتِها مُعْرِضُونَ) فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، وَآيَاتُ السَّمَاءِ.. كُلُّهَا دَلَائِلُ عَلَى الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ؛ فَلِذَلِكَ سَمَّاهَا آيَاتٍ..، مَا يَبْدُو لَنَا مِنْ جِهَةِ السَّمَاءِ مِثْلَ السَّحَابِ والبرق والرعد"[١٤].

وقال الشنقيطي: "قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ)؛ تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ ثَلَاثَ مَسَائِلَ: الْأُولَى: أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا جَعَلَ السَّمَاءَ سَقْفًا، أَيْ: لِأَنَّهَا لِلْأَرْضِ كَالسَّقْفِ لِلْبَيْتِ، الثَّانِيَةُ: أَنَّهُ جَعَلَ ذَلِكَ السَّقْفَ مَحْفُوظًا، الثَّالِثَةُ: أَنَّ الْكُفَّارَ مُعْرِضُونَ عَمَّا فِيهَا أَيِ السَّمَاءِ مِنَ الْآيَاتِ، لَا يَتَّعِظُونَ بِهِ، وَلَا يَتَذَكَّرُونَ..، أَمَّا كَوْنُهُ جَعَلَهَا سَقْفًا فَقَدْ ذَكَرَهُ.. أَنَّهُ مَرْفُوعٌ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالطُّورِ. وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ. فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ. وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ. وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ ٥٢الطور:١-٥..، وَبَيَّنَ أَنَّهُ مَحْفُوظٌ مِنَ التَّشَقُّقِ وَالتَّفَطُّرِ؛ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَرْمِيمٍ وَلَا إِصْلَاحٍ كَسَائِرِ السُّقُوفِ إِذَا طَالَ زَمَنُهَا"[١٥].

وقال محمد سيد طنطاوي: "(وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آياتِها مُعْرِضُونَ) أي وجعلنا السماء سقفا للأرض كما يكون السقف للبيت.. (وَهُمْ) أي المشركون عن آياتها الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا وعلمنا مُعرضون؛ ذاهلون لا يتعظون"[١٦].

[١٤] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٧\ ٥٨).

[١٥] محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت؛ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م (٤\ ١٤٣).

[١٦] محمد سيد طنطاوي؛ التفسير الوسيط، دار نهضة مصر بالفجالة القاهرة، الطبعة الأولى؛ ١٩٩٧ و١٩٩٨ (٩\ ٢٠٥).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Meteorology

أرصاد جوية

المَوْضُوع Subject

Atmosphere

الغلاف الجوي

نُصوص مُتَعلِّقَة Related Texts

- ﴿وَالطُّورِ. وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ. فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ. وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ. وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ. وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ. إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ. مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ ٥٢الطور:١-٨.
- ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ. وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ. وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ. وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٠-٣٣.
- ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٨.
- ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٢البقرة:٢٢.
- ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٦الأنعام:١٢٥.
- ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى. إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى. تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾ ٢٠طه:٢-٤.
- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ ٢١الأنبياء:١٦.
- ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:٩-١٢.
- ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ ٥٥الرحمن:٣٣.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ٦٥الطلاق:١٢.
- ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ ٧٩النازعات:٢٧-٣٣.
- ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ. لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ ١٣الرعد:١٠و١١.